

# صناعة المعرفة وسياسات الاستسهال

99



د. مصطفى الرفاعي

هي ٤-٦ جنيهات في المتوسط، وفي الصناعة تتراوح ما بين ٢٠ و٢٠٠ جنيه في المتوسط، أما قيمة ساعة عمل الإنسان في الصناعة المعرفية فهي ٢٠٠ إلى ٦٠٠ جنيه في مصر، وضعف ذلك في الدول الصناعية، فمتوسط سعر ساعة العمل المجمعة لفريق عمل يعمل على تصميم مشروع بترولى هو ٧٥ دولاراً أى ٤٠٠ جنيه، هذه الأرقام تعبر بوضوح عن العائدات المحققة وعن القيمة المضافة للاقتصاد القومى عندما تكون هناك سياسات تبنى بناء صناعات المعرفة والاستثمار في الإنسان أولاً، والآلات والمعدات ثانياً، ويرد ذلك على التهاوت الملحوظ على أموال المستثمرين كضرورة لإحداث التنمية وتحسين المؤشرات الاقتصادية - الحقائق تبطل صحة هذا التوجيه. أفضل لنا أن نبني اقتصاداً تكون أصوله وثرواته للإنسان وقدراته وإنتاجه بدلاً من أن يكون اقتصاداً يعتمد على بيع ما نملك من أصول سواء كانت أراضى أو مصانع أو مصارف تؤول على الأجانب الذين يستحوذون، بفضل هذه السياسات، على أموالنا ومدخراتنا وعلى أسواقنا. السياسات التي قامت على الاستسهال هي سياسات ضارة بمصر وبمستقبلها، وهي سياسات تهدر كفاح أجيال من المخلصين من أبناء مصر، قضا عمرهم في بناء بنیان الدولة المصرية ومؤسساتها وتحريرها وتحرير أرضها من الاستعمار. أسترجم هنا ما قاله د. هوژی حماد، رحمه الله، في أحد مقالاته: «إن العمل السياسي والدبلوماسي يتوج الجهود التكنولوجية ولكنه لا يمكن أن يكون بديلاً عنها، أو أن يصنع شيئاً واحداً. إن التكنولوجيا المتقدمة بكل أبعادها الاقتصادية والأمنية هي ليست ضرورة تقدم وتنمية فحسب، وليست ضرورة أمن قومی فحسب، بل إنها ضرورة بقاء، وهو أمر جدير بعميق النظر وعظيم الاعتبار».

صناعات المعرفة هي الصناعات ذات المكون التقنى المتعاطم والتي تترجم قدرات الإنسان في الإبداع والمعرفة والفكر إلى قيمة مضافة فريدة لا يقتررب منها الضعفاء، وإذا كانت الصناعة من طريق الرجاء، فصناعات المعرفة هي طريق الوصول إلى مصاف الدول الصناعية القوية، التي تتمتع بأعلى مستوى لمعيشة الفرد، وبشراء اقتصادى ورعى اجتماعى.

السياسات الوطنية الواعية هي السياسات التي تهتم اهتماماً بالغا بصناعات المعرفة، إدراكاً منها أنها أفضل علاج لمشكلة مصر الاقتصادية. أصول صناعات المعرفة هي العقول وقدررة الإنسان على اقتحام المجالات التقنية المعقدة والمتطورة. الدول التي أدركت ذلك ووضعت سياسات لبناء صناعات المعرفة هي الدول التي حققت طفرات اقتصادية وتقنية واستطاعت أن تنافس الدول الغربية أولاًها اليابان وتبعها في هذا المسار دول أخرى مثل كوريا الجنوبية، وإذا كانت مصر فقيرة في مواردها الطبيعية، وهذه حقيقة، فمتها في ذلك اليابان وأوروبا الغربية. أكبر ثروات العالم في البترول والذهب واليورانيوم والفضة والبلاتين والفضة والمعادن ليست في اليابان أو أوروبا الغربية، بل هي في آسيا وأفريقيا وروسيا، إضافة إلى ذلك، فإن أوروبا لا تستطيع منافسة دول العالم الثالث في مجموعة كبيرة من الصناعات التي تحتاج إلى عمالة رخيصة، وقد أدى ذلك إلى إغلاق هذه المصانع وبيعها لمشتريين من الدول الفقيرة. ويبقى السؤال إذا كان هذا حالهم فكيف تمكنوا من تحقيق هذه القوة الاقتصادية والسياسية، خاصة بعد أن غابت عنهم مستعمراتهم في أفريقيا وآسيا التي أصبحت دولا مستقلة؟

السبب في احتفاظ هذه الدول الصناعية بالصدارة هو التركيز على صناعات المعرفة التي تعتمد على تفوق الإنسان والخروج من الصناعات الفقيرة في المكون التقنى، والتي تعتمد على عمالة فقيرة ورخيصة.

يتفق الناس على تمجيد العلم، من يمتلك من المصيرين قدراً من العلم والمعرفة يستحق الاحترام، إلا أن هذه الجزئيات الصغيرة المبعثرة لا تنتظم في منظومة ولا تتخرط في إطار مشروع قومى هو مشروع بناء صناعات المعرفة، وهو مشروع يحتاج إلى قيادات تجمع بين التفوق التقنى والقدرة على التعبئة العنوية الوطنية.

قيمة ساعة العمل للإنسان في الزراعة في مصر